

تمثال آدمى من الجولان أشرف زكريا سيد*

تثير فنون العصور الأولى ، عصور ما قبل الكتابة ، العديد من التساؤلات كما تلقى الكثير من الضوء على التطورين العقلي و المعرفي للإنسان في عصور ما قبل التاريخ ، لذلك كان لفنون العصر الحجري القديم* - على وجه التحديد - أهمية خاصة من خلال توضيح متى استطاع الإنسان لأول مرة إبداع صورة ، مسطحة أو مجسمة ، تصف - أو ترمز إلى - شكل ما من العالم المحيط به ، و متى توفرت لدى ذلك الإنسان القدرة على تشكيل مفاهيم مجردة و على استخدام الرمز و التواصل مع الآخرين على مستوى متقدم.^١

يعتبر العثور على تمثال آدمى في موقع مفتوح في بركة رام شمالي مرتفعات الجولان المحتلة في عام ١٩٨١ م أحد أهم الأكتشافات الأثرية التي تثير الكثير من الجدل حول هذا الموضوع .

تقع بركة رام جنوبي شمس مجدل و شرقي بانياس و غربي جبل هرمون في شمالي الجولان الذي عثر فيه على مجموعة من مواقع عصور ما قبل التاريخ - بعضها عبارة عن ورش لصناعة الأدوات الحجرية تقع قرب مصادر لمواد خام طبيعية - ينتمي أغلبها إلى الأشولية العليا.^٢

عثر على التمثال بين طبقتين من البازلت تكونتا نتيجة تدفقات بركانية حدثت خلال عصر البلايستوسين. أرخت الطبقتان بواسطة تقنية أرجون / أرجون الراديومترية مما أعطى تاريخاً للتمثال يتراوح بين ٨٠٠ أو ٤٧٠ - ٢٣٣ ألف سنة ق م.^٣

* مدرس كلية الآداب-جامعة المنصورة.

* يقسم العصرى الحجري القديم إلى ثلاث عصور متتابعة هي العصر الحجري القديم الأسفل و الأوسط و الأعلى و ذلك وفقاً لاعتبارات زمنية و تيبولوجية تتعلق بتطور صناعة الأدوات الحجرية على رضوان ، الخطوط العامة لعصور ما قبل التاريخ و بداية الأسرات في مصر ، القاهرة ٢٠٠٤ ، ص ١٢

; H.L.Dibble , " The Palaeolithic Archaeology " , Expedition 34/3 (1992) , p.16

١- روبرت ج. بيدناريك ، " الإرهافات الأولى للخليقة " ، رسالة اليونسكو ٤٨ (١٩٩٨) ، ص ٤-

2 - N.Goren – Inbar , " Golan " , in : E.Stern , The New Encyclopaedia of Archaeological Excavations in the Holy Land , New York 1993 , pp.527-528

3 - G.Feraud – al , " 40Ar /40AR Age Limit for an Acheulian Site in Israel " , Nature 304 (1983) , pp.263-265 ; N.Goren – Inbar , " Additional Remarks on the Berekhat Ram Figurine " , Rock Art Research 12/2 (1995) , pp.131-132

نسب التمثال إلى الطور الأشولى الثالث - الأشولى المتأخر ٥٠٠ الى ١٠٠ ألف سنة ق م - حيث عثر عليه فى وسط أدوات ظرائية من نمط أدوات الأشولى الأعلى و الصناعة الفلوازية تتضمن نوايات و شظايا و فؤوس يدوية و مكاشط طرفية و جانبية و مناحت و مسننات.^٤

شكل التمثال (شكل ١) بفعل الطبيعة فى هيئة آدمية ، و هو عبارة عن حصة غير منتظمة الشكل من بازلت Scoria - المتوفر فى الجولان ° - طولها ٣٥ ملم و عرضها ٢٥ ملم و سمكها ٢١ ملم و وزنها ١٠,٣٣ جم.

يتضمن التمثال / الحصة مجموعة من الحزوز المشكلة طبيعيا ، أحدها حز عرضى - أكثر عمقا فى الخلف عنه فى الجانبين - يحدد الرأس الذى يمثله الثلث العلوى من الحصة ، و يمثل موضع الرقبة .

يفصل بين الجزع و الزراعين خطان محزوزان ضحلان - الأيسر منهما أكثر وضوحا ، و هما معا أقل عمقا من الحز المحدد لمنطقة الرقبة -^٦ طوليان مقوسان يمتدان أسفل خط الرقبة ، و قد جاء فى الأمام أوضح مما هما عليه على ظهر التمثال / الحصة.^٧ لم يتوقف الفنان عند حد ملاحظة المشابهة الطبيعية بين شكل الحصة و هيئة جسد المرأة ، و لكنه عمد إلى تأكيدها بمجموعة من الحزوز التى أحدثها بواسطة أداة حجرية ، مما جعل من هذه القطعة عمل فنى لاشك فيه.^٨

لقد أثبت الفحص الذى أجرى على التمثال وجود تدخل انسانى فى التشكيل يتمثل فى تسوية أحد جانبي الرأس بعناية ، و الشطف المائل لحواف التجويف الموجود عند الرقبة، و تسوية سطح أحد الكتفين ، و تشكيل ثنية الكوع الأيسر ، وتحديد تجويف الصرة - المشكل طبيعيا - بلون أسود . أثبت الفحص كذلك تسوية الجزء السفلى من التمثال ، ربما لعمل قاعدة يمكن بواسطتها إقامته منتصبا.^٩

ساهم تشكل التمثال من حصة من البازلت فى إتصافه بالخشونة و الجمود. يعد البازلت من أندر المواد الخام المستخدمة فى نحت التماثيل فى عصور ما قبل التاريخ ، إذ لم يسجل استخدامها فى تشكيل التماثيل الأدمية فى سوريا و فلسطين إلا نادرا ، و ذلك

4 - N.Goren – Inbar , " The Lithic Assemblage of the Berekhat Ram Acheulian Site , Golan Heights " , Paléorient 11/1 (1985) , pp.7-29

5 - C.Epstein , " The Chalcolithic Culture of the Golan " , Biblical Archaeologist 40 (1977) , p.58 ; T.E.Levy , " The Chalcolithic Period , Archaeological Sources for the History of Palestine " , Biblical Archaeologist 49 (1986) , p.96

6- C.Renfrew -P.Bahn , Archaeology , London 2000 , p.374

7 - N.Goren – Inbar , " A Figurine from the Acheulian Site of Berekhat Ram " , Mitekufat Haeven 19 (1986) , p.7, 9 , fig.2

8 - Renfrew – Bahn , op.cit. p. 374

9 - A.Marshack , " The Berekhat Ram Figurine , A Late Acheulian Carving from the Middle East " , Antiquity 71 (1997) , pp.327-337

ابتداء من العصر الحجري الحديث في العمق A و تشطل هويوك حيث اتسمت التماثيل بالجمود.^{١٠}

كشفت إضافات فنان بركة رام إلى الحصة عن مهارة عقلية ويدوية يؤكد ما عثر عليه في موقعه من أدوات حجرية تكشف عن مهارات في التقنية و في قيم الشكل و السيمترية.^{١١}

تميز التمثال / الحصة ببعض الخصائص التي جعلته قريبا من نمط تماثيل فينوس في أوروبا الباليوليثية العليا^{١٢} و التماثيل الأدمية الحصوية من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار في سوريا – فلسطين و الأناضول ، مثل اختيار حصة توحى هيئتها بالشكل المراد تمثيله ،^{١٣} صغر الحجم ،^{١٤} التأكيد على موضع الصرة (قارن نقوش لوسيل و بردموسى) ،^{١٥} اللون الأحمر^{١٦} (استخدم اللون الأحمر منذ الباليوليثي الأسفل)^{١٧} ، أما تجهيز قاعدة مستوية للتمثال فيعد أمرا نادر الوجود في التماثيل الباليوليثية العليا نظرا لأن التماثيل الصغيرة كانت تخصص للحمل و التنقل ، لتحس باليد لا لترى بالعين ، و إن خصصت بعض التماثيل الأوروبية الباليوليثية العليا للتثبيت في قاعدة أو في الأرض.^{١٨}

يبدو انتساب التمثال / الحصة من بركة رام إلى الثقافة الأشولية العليا / العصر الحجري القديم الأسفل أمرا ممكنا في ضوء الإعتبارات التالية :

١ – الإشارة إلى قدرة بعض البشرات / طور أولدوفاي في أفريقيا- على جمع بعض الحصوات المشكلة طبيعيا في هيئة رأس بشرى أو رأس قرد البابون ، مما يشير إلى

atal 10 - J.Filip – J.Mellink , Frühe Stufen der Kunst , Berlin 1974 , taf.32a-b ; J.Mellaart , Hüyük , A Neolithic Town in Anatolia , London 1967 , fig.80

11 - Goren-Inbar , op.cit. , p.11

12 - Renfrew – Bahn , op.cit.,p.374

13 - G.Comps , Manuél de recherche préhistorique , Paris 1972 , p.130 ; Mellaart , op.cit. , p.108 ; E. Yeivin – I. Mozel , " A Fossil ' Directeur ' Figurine of the Pottery Neolithic A " , Tell Aviv 4 /3-4 (1977) , p.196 ; J.Cauvin , Religions Néolithiques de Syro – Palestine , Paris 1972 , p.72

14- J. Maringer , The Gods of Prehistoric Man , London 1960 , p.109 ; S.Giedion , The Eternal Present , Washington 1957., p.436

15- Ibid. , pp.445,469 ; G Lalanne , " Découverte d` un Bas-relief à Représentation Humaine dans Les Fouilles de Laussel " , L`Anthropologie 22 (1911) , p.253

16 - G.Clark , World Prehistory , An Outline , Cambridge 1962 , p.64 ; ; T.Noy , " The Natufian Culture " in : Treasures of the Holy Land , New York 1986 , p.14 ; I.Mozel , " A Special Human Figurine from The Pottery Neolithic in Israel " , Mitekufat Haeven 13 (1983) , p.74

17 - R.G.Bednarik , " Palaeoart and Archaeological Myths " , Cambridge Archaeological Journal 2 / 1 (1992) , pp.27-43

18- Giedion , op.cit. , p.436-437 ; Maringer , op.cit., p.110

تميزهم بين الأشكال العادية و الغريبة و المتكررة مما كون لديهم مفاهيم عن عالم تصنف فيه الاشياء إلى درجات متفاوتة.^{١٩}

- عثر في كهف ماكابانسجات في جنوب افريقيا على حصاة شكلت طبيعيا في هيئة رأس انسان^{٢٠} بينما اتخذت حصاة أخرى من أولدوفاي شكل رأس قرد البابون^{٢١}.

٢ - استخدام انسان العصر الحجري القديم الأسفل - في أوروبا و آسيا - لخطوط غير ذات غرض نفعي مما يشير إلى تطور معرفي و فني.

- عثر في أحد مواقع الثقافة الأشولية في المانيا / حوالي ٣٥٠ ألف سنة ق م على قطعة من العاج حفرت عليها خطوط غير ذات غرض نفعي، كما عثر على أشكال كوبية محفورة على صخر كهفي في موقع أشولي في الهند / حوالي ٣٠٠ - ٢٠٠ ألف سنة ق م.^{٢٢}

٣ - يكشف تصميم الأدوات الحجرية في الثقافة الأشولية عن قدر كبير من المهارة في تحقيق الشكل و السيمترية و التخصص الوظيفي المناسب ، وهي أمور تتعلق بقدرة فنية معرفية - إذ تعني كلمة فن المهارة و الحذق في التقنية أو المهارة في الصنعة و الحيلة و الحنكة و الخبرة^{٢٣} - ميزت البشر عن القردة العليا.^{٢٤}

٤ - العثور على عملين نحنيين مجسمين في موقعين نسبا للأشولية - في شمال أفريقيا - مما يشير إلى إدراك تشكيلي و رمزي لصاحب هذه الثقافة.

- عثر على تمثال آدمي - لعبت الطبيعة أيضا الدور الأكبر في تشكيله - في موقع تانتان الأشولي جنوبي المغرب / حوالي ٥٠٠ - ٣٠٠ ألف سنة ق م ، و قد تميز بتلوينه بالمغرة الحمراء بما يشير إلى إدراك رمزي و تشكيلي أشولي.^{٢٥}

- احتفظت جماعة تنتمي إلى الأشولية العليا في ارفود و ريسانى شرقي المغرب بحصاة حجرية مشكلة طبيعيا في هيئة عضو التذكير ، بما يعكس إدراكا للقيمتين التشكيلية و الرمزية لهذه الحصاة.^{٢٦}

٥ - العثور على مجموعة من التماثيل في هيئة المرأة و الرأس الأدمي و بعض الحيوانات و الطيور في موقعي جروس بامباو و هامبورج المنتسبان إلى الأشولية العليا في ألمانيا حوالي ٥٠٠ ، ٢٠٠ ألف سنة ق م.^{٢٧}

19- بدناريك ، المرجع السابق ، ص ٥

20 - R.Dart , " The Waterworn Australopithecine Pebble of Many Faces from Makapansgat " , South African Journal of Science 70 (1974) , pp.167-169 , fig.1

21 - M.Leakey , Olduvai Gorge , vol.3 , Cambridge 1971 , pl.18

22 - بدناريك ، المرجع السابق ، ص ٥

23- على رضوان ، تاريخ الفن في العالم القديم ، القاهرة ٢٠٠٣ ، ص ٢٠

24 - Goren-Inbar , op.cit. , p.11 ; Bahn , op.cit. , P.371-372

25 - R.G.Bednarik , " An Acheulian Figurine from Morrocco " , Rock Art Research 18 /2 (2001) , pp.115-116

26 - R.G.Bednarik , " An Acheulian Figurine from Morrocco " , Rock Art Research 19/2 (2001) , pp.137-139 , fig.2

يترتب على التسليم بانتساب التمثال / الحصة إلى الثقافة الأشولية العليا / العصر الحجري القديم الأسفل عدة نتائج هامة :

١ - اعتبار التمثال أقدم تجلى معروف لعمل نحتي مجسم ، حيث يسبق أعمال الفن الأوروبي التي تنتمي إلى العصر الحجري القديم الأعلى ^{٢٨} التي كان Delporte قد اعتبرها أقدم أعمال الفن ^{٢٨} بمئات الآلاف من السنوات.

٢- اعتبار الثقافة الأشولية و العصر الحجري القديم الأسفل و ليس العصر الحجري القديم الأعلى مهدا لمعرفة فن النحت المجسم.

٣- الإشارة إلى تطور معرفي فني اسيوي (الهند ، بركة رام) يسبق نظيره الأوروبي (سيبيريا و وسط أوروبا ثم غرب أوروبا) ^{٢٩}

٤- إفتراض معرفة جنس homo erectus - الذي ظهر في العصر الحجري القديم الأسفل ^{٣٠} - للاشياء غير ذات الغرض النفعي أو الفن ^{٣١} قبل الانسان الحديث Homo Sapiens sapiens صاحب حضارة العصر الحجري القديم الأعلى.

٥- الإشارة ضمنا إلى قفزة انسانية عقلية معرفية مدهشة - إذ أن الفن التمثيلي هو وسيلتنا لمعرفة التطورات المعرفية لمجتمع ما قبل ظهور الكتابة ^{٣٢} - تشهد بها إعادة خلق شكل رمزي ثلاثي الأبعاد لطور ما من العالم ، و افتراض وجود علاقة بينه و بين ما يمثله و يحاكيه فنيا . ^{٣٣} مثل هذا التدخل الفني يفترض وجود ثورة عقلية و معرفية تتمثل في :

أ - ملاحظة و تصور الشكل الثلاثي الأبعاد في الواقع.

ب - القدرة على استعادة و تصور هذا الشكل.

ج - القدرة على إعادة تمثيل هذا الشكل بصورة رمزية ثلاثية الأبعاد و هو ما يتطلب مهارة يدوية أيضا.

٦ - افتراض قدرة جنس Homo erectus صاحب حضارة العصر الحجري القديم الأسفل على تشكيل مفاهيم مجردة و على استخدام الرمز في اطار فن جمعي يصف

27 - U.Benekendorff , " From the Information Recorder Stone to A Picture Book of the Stone Age " , Archaeologische Berichten 20 (1990) , pp.14-28,43-64 ; Gr.Otterndorf , " Niederelbe-Verlag , Die Entdeckung der Kunst des Alteren und Mittleren Palaeolithikum in Norddeutschland " , Jahrbuch für Prahistorische und Ethnographische Kunst 21 (1964-1965) , pp.1-18

28 - Goren-Inbar , op.cit. , p.11

^{٢٩} - بدناريك ، المرجع السابق ، ص ، ٥ - ٦

30- على رضوان ، عصور ما قبل التاريخ ، ص ٢٦

31 - Renfrew – Bahn ,op.cit. , p.374

32 - Ibid., p.375

33 - Ibid., p.395

العالم من خلال الفن المثلي^{٣٤}، و افتراض وجود دافع أكبر من مجرد الرغبة في المحاكاة و الزخرفة المادية يتمثل في الضرورة الاجتماعية للفن كوسيلة للتعبير عن الأفكار و توصيلها^{٣٥} لتنظيم العلاقة مع الآخر و العالم الفوقى مما أدى لاحقا إلى معرفة الدين و الشعيرة.

اعتبر التمثال - على ذلك - دليلا على تمثيل لأم الطبيعة و البشر ، و لمعطية الميلاد و الحياة و ربما الموت^{٣٦} - على غرار تماثيل العصر الحجري القديم الأعلى الأوروبية التي ربطتها الآراء بالإلهة الأم و شعائر الخصوبة^{٣٧} - بما ربما يعكس وجود ممارسات طقسية كان الاعتقاد السائد أنها بدأت في الكهوف الأوروبية خلال العصر الحجري القديم الأوسط ثم الأعلى^{٣٨}.

هناك مجموعة من الحقائق التاريخية و الفنية التي تجعل انتماء هذا التمثال الى الثقافة الأشولية العليا محل شك :

١ - تم تحديد انتماء تمثال بركة رام إلى الثقافة الأشولية بناء على إقترانه بأدوات من نمط أدوات العصر الحجري القديم الأسفل بينما أغفل المكتشفون حقيقة اقترانه بنسبة كبيرة من الأدوات الحجرية من نمط العصر الحجري القديم الأعلى^{٣٩}

٢ - اعتمد الفنان في تشكيله لتمثال بركة رام على انتقاء حصة توحى هيئتها بالشكل الآدمى مع الاكتفاء بمجموعة من الحزوز ، و هى التقنية التي لا يوجد دليل آخر على معرفتها في الشرق الأدنى القديم قبل بدايات العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار " أ " PPNA - سبقتها ثقافات من العصر الحجري القديم الأعلى في أوروبا - فسوريا و فاسطين (وادى فلاح II و جلال I و رأس الشمرة VC و الصليبية IX) ، ثم في العصر الحجري الحديث (تشطل هويوك و جبيل و مجدو و أبو مطر و المنحطة و أبو مطر و فى الثقافة اليرموكية فى شعارها جولان).^{٤٠}

34- روبرت ج بدناريك ، المرجع السابق ، ص ٥

35- راندال هوايت ، البنية و المغزى و الثقافة : تفسيرات مختلفة للتصوير و ملابسها الأثرية ،

ديوجين ١٢٤/١٨٠ (٢٠٠٠) ، ص ٧٣- ٨١

36 - F.D'Enrico - A.Nowell , " A New Look at the Berekhat Ram Figurine , Implications for the Origin of Symbolism " , Cambridge Archaeological Journal 10 (2000) , pp.123-167

37 - P.Ucko , Anthropomorphic Figurines of Predynastic Egypt and Neolithic Crete with Comperative Material from the Prehistoric Near East and Mainland Greece , Royal Anthropological Institute Occasional Paper 24 (1968) , pp.410-412

38 - J.Clottes , " What did Ice Age People do in the Deep Caves " : , Expedition 47/3 (2005) , p.21

39 - Goren-Inbar , Golan , p.528

40 - Cauvin , op.cit. , figs.8 ; 20-25 ; M.Stekelis , Two More Yarmokian Figurines , Israel Exploration Journal 2 (1952) , pp.216-217

، أشرف زكريا ، تماثيل و رموز الأمومة فى مصر و الشرق الأدنى القديم فى عصور ما قبل التاريخ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٩٦ ، لوحة ٢١

- ٣ - أن أقدم تماثيل معروفة من منطقة الجولان آ التي تقع بركة رام في شمالها - تنتمي إلى عصر الحجر و النحاس ، و هي المعروفة بتمائيل إله المنزل البازلتية شديدة البساطة و البدائية^{٤١} ، مما لا ينم عن وجود تقاليد فنية مترسخة في الإقليم
- ٤ - ينتمي أقدم عمل فني عثر عليه في الشرق الأدنى القديم - و هو عبارة عن حفر بسيط في هيئة الحصان على قطعة من الحجر الجيري عثر عليها في أحد كهوف الجليلي شمالي فلسطين - إلى العصر الحجري القديم الأعلى حوالي ٤٠ - ١٨ ألف سنة ق م.^{٤٢} لم تعرف التماثيل هنا قبل عصر الثقافة النطوفية حوالي ١٠٣٠٠ - ٨٥٠٠ ق م (أم الزويتية و تل صخرى و مغارة الواد و مغارة كبارا و عين الملاحه و الخيام و نحال أورن)^{٤٣} ، ثم خلال العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار " أ " .^{٤٤} فهل توقف الانسان في هذه المنطقة الهامة من العالم القديم عن انتاج الفن طوال العصور - التي تقدر بعشرات الآلاف من السنوات - التي تفصل بين عصر الثقافة الأشولية - التي نسب إليها التمثال / الحصاة - و عصر ثقافة العصر الحجري القديم الأعلى ؟
- ان ذلك الغياب المتواصل لعملية الابداع الفني ذاته - بما تشمله من موضوعات و أساليب و تقنيات - بعد هذه النشأة المزعومة قبل ٢٣٣ ألف سنة ق م هو أمر غير منطقي يتنافى مع ما نعرفه من حتمية ممارسة التقاليد الفنية المتوارثة جيلا بعد جيل ، و هو ما تشهد به مواقع الثقافات الأورجناسية و الجرافيتية و المجدلينية الأوروبية^{٤٥} ، و ثقافات العصر الحجري القديم الأعلى ثم النطوفية ثم العصر الحجري الحديث بأطواره المتعاقبة في سوريا و فلسطين.
- ٥ - أشير إلى ارتباط التمثال الحصاة بممارسات تتعلق بأم الطبيعة ، بما يتضمن إشارة إلى معرفة الثقافة الأشولية لفكرة الأمومة دينيا ، على الرغم من أن أقدم آثار تكشف عن ممارسات طقسية في الشرق الأدنى القديم - و التي استدلت عليها في كهفي السخول و شانيدار - و تنتمي إلى العصر الحجري القديم الأوسط ، لا تحتوى على ما يشير إلى طقوس ترتبط بالأمومة ، كما أن أقدم ما عثر عليه في الشرق الأدنى و يرتبط بهذه الفكرة هو ما استدلت عليه في قصر أخيل و يعود إلى العصر الحجري القديم الأعلى.^{٤٦}
- ٦ - لم يسجل اقتران أعمال الفن الأشولية من بركة رام و شمالي غرب أفريقيا و ألمانيا و الهند بعظام بشرية ، كما أن آثار جنس Homo erectus صاحب حضارة العصر

41 - C.Epstein , " Basalt Billar Figures from the Golan " , Israel Exploration Journal 25 (1974) , pp.195-197

42 - T.Noy , " Prehistory " , in : Treasures of the Holy Land , New York 1988 , p.29

43 - Cauvin , op.cit. , figs 3-6 ; Noy , op.cit. , pp.33-40

44 - S.K.Kozlowzky , " Nemrik 9 , A PPN Neolithic Site in Northern Iraq " , Paléorient 15/1 (1989) , figs 8-9 ; T.Noy , Gilgal I , A Pre - Pottery Neolithic Site , Israel , Paléorient 15/1 (1989) , p.13

45 - Clottes , op.cit. , pp.21-22

46 - M.Gimbutas , " Prehistoric Religion " , Encyclopaedia of Religion X , p.508

الحجري القديم الأسفل - في العالم القديم كله - لا تشير إلى تمتعه بحياة دينية من أي نوع.^{٤٧}

٧ - ترك لنا انسان نياندرتال صاحب حضارة العصر الحجري القديم الأوسط - الأكثر رقيا والأحدث زما من حضارة العصر الحجري القديم الأسفل - ما يشير إلى معرفة الطقوس^{٤٨} (تقديس الدب في جبال الألب^{٤٩} ، معتقدات جنزية تشمل دفن الموتى و تقديم قرابين - حيوانات و أزهار و أدوات - في كهف السخول في جبل الكرمل في فلسطين و كهف شانيدار في العراق و تشيك تاش في أوزبكستان و تل الترمسا قرب دندرة في مصر^{٥٠}) ، إلا أن أقدم ما أنتجه من أعمال فن شديدة البساطة لم يظهر إلا في المرحلة الأخيرة من الحضارة الموسستيرية حوالي ٤٥ - ٣٠ ق م ، و هي المرحلة الإنتقالية التي شهدت إحلال جنس Homo sapiens sapiens محل جنس Neandertal ، و قد اعتبر ظهور الفن في هذه المرحلة أحد التغيرات الثقافية الدراماتيكية التي حدثت تأثرا بثقافة الإنسان العاقل أول مبدع للفنون البصرية حوالي ٤٠ ألف سنة ق م.^{٥١}

٨ - اعتبرت أعمال الفن المنسوبة إلى ما قبل المرحلة الإنتقالية بين العصر الحجري القديم الأسفل و الأوسط حوالي ٤٠ - ٣٠ ألف سنة ق م مجرد تشكيلات من عمل الطبيعة أو أعمال فن لعصور متأخرة زما عن هذه المرحلة ، و إن اختلطت بأدوات تنتمي لثقافات سابقة عليها.^{٥٢}

يمكن - في ضوء ما سبق من معطيات زمنية و أسلوبية و تقنية - نسب تمثال بركة رام إلى العصر الحجري القديم الأعلى ، و ذلك في ضوء الاعتبارات التالية :

١ - وجود أدوات من نمط العصر الحجري القديم الأعلى في الطبقة التي عثر فيها على التمثال / الحصة ، و إن اعتبرها المكتشفون عنصرا دخيلا على الثقافة الأشولية المتأخرة في بركة رام.^{٥٣}

٢ - تأريخ مواد عضوية من بركة رام بحوالي ٢٩٠٠٠ ± ٤٠٠٠ ق م^{٥٤} ، و هو ما يتفق مع الامتداد الزمني للعصر الحجري القديم الأعلى في سوريا - فلسطين. لم يعثر

47- فراس السواح ، دين الإنسان : بحث في ماهية الدين و منشأ الدافع الديني ، دمشق ١٩٩٤ ، ص ١٢٤

48 - Clottes , op.cit. , p.21

49 - P.G.Chase , " The Cult of the Bear Cave " , Expedition 29 (1987) , p.19

50- فراس السواح ، المرجع السابق ، ص ١٢٥-١٣١ ؛ بياتريكس ميدان رينيس ، عصور ما قبل التاريخ في مصر ، ترجمة ماهر جويجاتي ، القاهرة ٢٠٠١ ، ص ٦٣

51- على رضوان ، عصور ما قبل التاريخ ، ص ٢٢ ؛ على رضوان ، تاريخ الفن ، ص ٢٢

؛ R.White , " The Earliest Imager " , Expedition 34/3 (1992) , pp.37-38 ; Dibble , op.cit. , p.21

52 - White , op.cit. , p.37

53 - Goren - Inbar , " Golan " , p.528

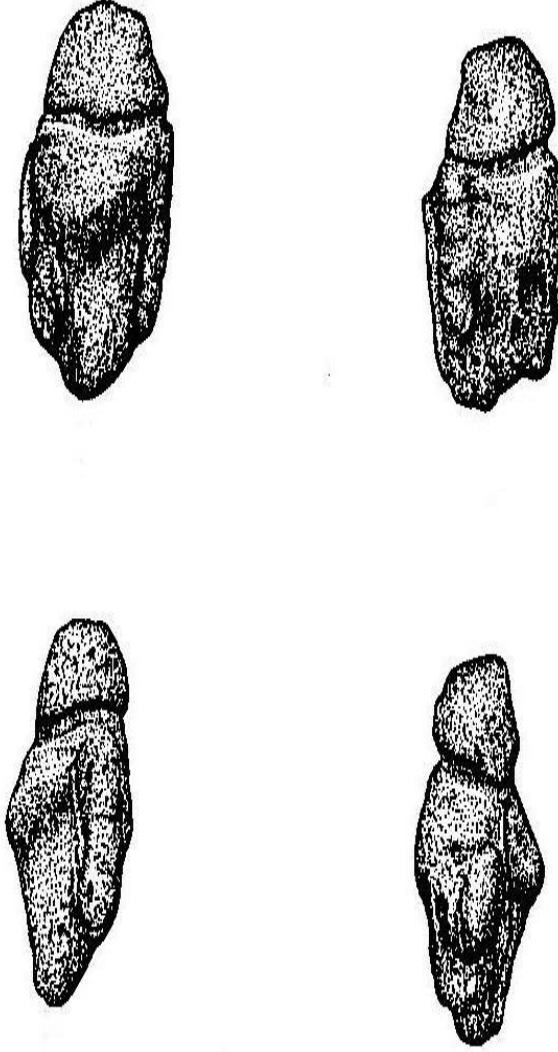
54 - Ibid. , p.528

على هذه المواد العضوية مقترنة بالتمثال ، إلا أن حدوث اختلاط لمواد من عصور مختلفة يظل أمرا محتملا.

٣ - يتسق افتراض نسب التمثال إلى العصر الحجري القديم الأعلى مع مشابهته الأسلوبية للتماثيل الأدمية الحصوية من سوريا - فلسطين ، مع اعتبار بدائيته الفنية الشديدة أمرا منطقيا يتفق مع كونه المحاولة الأولى في سبيل تشكيل هذه التماثيل.

٤ - يتفق هذا الافتراض مع حقيقة تواصل واستمرارية أعمال الفن في سوريا - فلسطين منذ العصر الحجري القديم الأعلى في الجليلي ، ثم في النطوفية في وسط و شمال فلسطين ، ثم خلال الأطوار المتعاقبة للعصر الحجري الحديث و ما بعده.

٥- نسب التمثال / الحصة إلى العصر الحجري القديم الأعلى يربطه بالإنسان العاقل Homo Sapiens sapiens، و هو أمر يتسق مع ما نعرفه من ابداع هذا الجنس البشرى لأعمال الفن ، و ما اتفق عليه من غياب الإبداع الفني خلال العصور السابقة على ظهوره.



شكل ١ : تمثال آدمي من الجولان